مفكرة

# الجراح المزهرة

تل الزعتر آب ١٩٧٦ ، لوحة زيتية للفنان العراقي « كاظم حيدر » ١٨٠ × ١٧٠ سم

انه يتقدم ببطء حاملا نجومه على منكبيه ، يتجول في الجنوب والمسلخ والكرنتينا ، ويبتسم لاطفاله اليتامى الذين خلفهم حفاة عراة ، يخفون بأسمالهم كبرياء المستقبل وهم يتسولون بين المقاهي وعلى ابواب المكاتب ، او يمسحون احذية الجنرالات الذين خرجوا من عباءات وعقالات الثورة المضادة ٠

يتقدم عاكسا ظله الاحمر على المدينة ، والفاشيون يطلقون قذائفهم ورصاصهم ، ويطيرون في سماء بيروت الخفافيش واسراب البوم والغربان ٠٠٠ لكنه يتقدم ، قادما من حيفا التي كان قد عاد اليها ٠٠ انظروا جيدا ٠٠ بندقيته بين يديه ٠٠ وكوفيته معطرة برائحة الارض ٠٠ وعلى خصره تتدلى القنابل بلون البرتقال اليافاوي ٠٠

اوقفته الحواجز ، فأزاحها بحركة من قدمه ٠ يطلقون عليه الرصاص فتلتصق الطلقات وشظايا القنابل والقذائف والصواريخ على جسده ، تلتصق مذهبة ، تلمع لآلىء ومرجان وبينها يموج حقل زنابق٠٠ وبين الدكوانة وجسر الباشا وقف شامخا ، من هنا اقتلعت ٠٠ وغرس قدميه في الارض وغاصت قدماه شيئا فشيئا حتى الخاصرة عندئذ صرخ بصوت هادر زعزع الابنية ، واصفرت الوجوه الناعمة والكروش المنفوخة :

ـ يا ابنائي اسرعوا الي ، لقد عاد والدكم ٠٠

تقدمت الانظمة وكروشها تتدلى ، وغلايينها محشوة بضفائر الاطفال وعلى ارداقهم تقرقع المسدسات الامريكية :

ـ من انت ؟ ٠٠ فصرخ مجيبا :

ـ تل الزعتر ٠٠

فانفتقت الكروش ، وتطايرت المسدسات بين احذية الاطفال القادمين ينزرعون في الجرح الفلسطيني المزهر ٠٠

●●

كنت نائما ، فأيقظني ٠٠ جاءني وديعا هادئا ٠٠ بابتسامته الحزينة الساخرة :

انهض يا بني ٠٠

فنهضت ٠٠

انا عائد الى حيفا ٠٠

ـ والاعداء لمن تركتهم ٠٠

ـ للتلال التي خلفتها في كل مخيم فلسطيني ٠٠ وفي كل حي عمالي ٠٠ وفي كل قرية جنوبية في جنوب لبنان وكل جنوب عربي ٠٠

ـ واختفى تاركا وراءه ازهارا تحيط بجسدي ٠٠ ثم رحلت الازهار ولم يبق غير الرائحة التي استوطنت مساماتي ٠

●●

نهضت من سريري ، لم اغسل وجهي من رائحة الحلم ٠ كانت قدماي تتحركان في طريقهما الى العمل ٠٠ وعيناي تتجولان بين وجوه اطفال تل الزعتر المنتشرين على الارصفة واحذية الضباط وشنباتهم السوداء ٠ فجأة اضطرب الشارع ٠٠ ثلاث فتيات شبه عاريات ، يصحبن ثلاثة كلاب صغيرة ٠٠ كانت الكلاب تنبح بغمغمة هادئة ، والشنبات تتراقص على قهقهات « الرجال والله » ٠٠

تابعت سيري ، وفي ذهني ترتسم كلمات « اوجين يونسكو » :

« بقدر ما ينقص حب الناس للناس يزداد حبهم للكلاب » ٠

**نورس**